ينبغي ان يلحقه التاء نحو امراة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب
وسهما لا يلحقه التاء لان التاء انما يلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل ولا يحمل عليه
الا اذا كان جاريا عليه موافقا له لفظا ومعنى والذى يكون للمبالغة او للنسب لا يوافق الفعل
معنى لان الفعل لا يكون الا للحدوث والاستقبال والفعيل الذى يكون للمبالغة او النسب يكون للدوام
والثبوت لا للحال ولا للاستقبال قوله اى ونفعل ذلك لنجعله آية فان خلق الغلام في رحم امه من
غير مس الذكر آية عظيمة للناس جعل قوله ولنجعله آية علة لفعل محذوف والفعل المحذوف مع
علته معطوف على قوله وهو على هين وقدر الفعل المعلل مقدما على علته رعاية لما هو الاصل
وقدره صاحب الكشاف مؤخرا لان الفعل المعلل لما حذف واقتصر على ذكر العلة
دل ذلك على ان الاهتمام انما هو بشان العلة وذلك يقتضى ان يؤخر الفعل المعلل ليكون الاهم اقدم
قوله او لنبين به قدرتنا ولنجعله آية على ان يكون قوله ولنجعله معطوفا على تعليل مقدر
عطف مفرد على مفرد قدم احتمال ان يحمل الكلام على اضمار الفعل المعلل لان اضماره اولى
من اضمار الفعل العلة من حيث ان اضمار المعلل يغنى عن اضمار العلة بخلاف العلة فان
اضمارها لا يغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضمرة ما يصح تعليله بها اذ لا يصح تعليله
بها اذ لا يصح ان يقال هو على هين لنبين بها قدرتنا بل لا بد من جعل التقدير هو على هين
ونفعل ذلك ونهبه لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير في قوله هو على هين راجع الى خلق
الغلام بغير ذكر وكذا ضمير لنجعله آية فان خلق ذلك آية باهرة على كمال قدرة الله تعالى كما ان
خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حوا من ذكر بلا انثى وخلق ساير الناس من ذكر وانثى وخلق
عيسى من انثى بلا ذكر كل ذلك آية يدل على انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق بها ما يشاء من
الله على كل شيء قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يقتضى ان يكون ضمير
لنجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فان النعمة لمن امن به وتبعه في دينه تعلى
به قضاء الله اى حكما ازليا فهو قوله مقضيا اى محكوما في الازل قال الله تعالى وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه اى حكم به واوجب ذلك عليكم قوله او قدر وسطر
في اللوح على ان القضاء بمعنى التقدير الازلى قال المصنف الارادة الازلية المقتضية
لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقات حدوثها
وما تعلقت به الارادة الازلية يجب وقوعها في الوقت الذى قدر الله تعالى وجوده
في ذلك الوقت او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل على ان القضاء هو اتمام الشيء والفراغ
عنه قال تعالى فقضاهن سبع سموات اى اتمهن ويقال قضيت حاجة فلان وانما كان حقيقا بان يقال

نعمى ونفعل لانه كان نعمة لمن امن به وتبعه على دينه ولان خلقه من غير اب كان آية دالة على كمال قدرة
الله تعالى وسببا لازدياد يقين المستبصرين فصار الغلام المذكور بهذا كانه امر مقتضى و
مفعول فلذلك قال في حقه قبل ان يولد انه كان امرا مقضيا قوله فحملته عن ابن عباس رضي الله عنهما فدنا
منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت قوله وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى
لانه لا يعيش ولد لثمانية اشهر الا عيسى وقيل مدة ساعة كما حملته نبذته ويدل عليه الفاءات التي بعد
في قوله تعالى فحملته فانتبذت به فاجاءها المخاض فناداها من تحتها فان الفاء لكنها للتعقيب ولكنه
على ان كل واحد من هذه الاحوال حصل عقيب الاخر من غير فصل وذلك يوجب ان يكون
مدة الحمل ساعة واحدة ويؤيده ايضا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فانه يدل على انه لم يتخلل بين حملها ووضعها بل انها كما حملته وضعته بان
قال تعالى كن فيكون وهذه الحالة ما تصور فيمن يتولد من النطفة والله اعلم ولفظ
به في قوله تعالى فانتبذت به في محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت اى انتبذت وهي
ملابسة به حاملة اياه كما في قول الشاعر في وصف الخيول التي ترغبها القتال غيرنا نافرة عنهم كانما
خيولنا كانت قديما تسقى في قحوف الهام الحليبا فمرت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا
اى تدوس الجماجم ونحن عليها ملتبسات بنا ونحن على ظهورها والدوس والدرس الوطء بالارجل
والقحوف جمع قحف وهو العظم الذى فوق الدماغ والحليب اللبن وضمير قحوفهم للاعداء
والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس على الدماغ والمراد بها جماجم الاعداء والترائب عظام
الصدر والعرب تسقى كرام خيولهم يقول كان خيلنا تسقى اللبن في اقحاف رؤوس الاعداء
فالفت بها ولم تنفر فداست بارجلها جماجمهم وترائبهم والقصى البعيد يقال مكان قاص وقصى
مثل عاص وعصى والمراد مكان بعيد من اهلها بكونه وراء الجبل او بعيد بالنسبة الى سائر
المواضع الواقعة في دارها لعلها اعتزلت اليه استحياء من اهلها ولفظ اجاء في الاصل
المنقول من جاء الى باب الافعال لكنه لم يستعمل بعد النقل الا في معنى الالجاء كما ان لفظ آتى
في الاصل منقول من اتى لكنه لم يستعمل بعد النقل الا في معنى الالجاء كما ان لفظ آتى في الاصل
منقول من اتى لكنه لم يستعمل بعد النقل الا في معنى الاعطاء واللام في النخلة اما للجنس على ان
جذع هذا الجنس من الشجر خاصة او للعهد اذ لم يكن في تلك الصحراء الا ذلك الجذع اليابس القديم
فصار متعالما بين الناس بحيث اذا قيل جذع النخلة لا يتبادر الى الذهن الا ذلك الجذع اليابس
قوله وبعد ان تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها اى من آياتها ما يسكن روعتها فانها اعتزلت
الى ذلك المكان القصى استحياء من اهلها وخوفا من ملامتهم فالهمها الله تعالى ان يذهب الى

Copyright © King Saud University